

أحبك أو لا أحبك

١٩٧٢

أحبك أو لا أحبك

-1-

أحبك، أو لا أحبك_

أذهب، أترك خلفي عناوين قابلة للضياع.

و أنتظر العائدين، و هم يعرفون مواعيد موتي و يأتون.

أنت التي لا أحبك حين أحبك، أسوار بابل

ضيقة في النهار، وعيناك واسعتان، ووجهك

منتشر في الشعاع

كانك لم تولدي بعد. لم نفترق بعد. لم تصر عيني

وفوق سطوح الزوابع كل كلام جميل، و كل

لقاء وداع

و ما بيننا غير هذا اللقاء، و ما بيننا غير هذا الوداع.

أحبك، أو لا أحبك_

يهرب مني حبيبي، و أشعر أنك لا شيء أو كل شيء.

و أنك قابلة للضياع

أريدك، أو لا أريدك_

إن خريز الجداول محترق بدمي، ذات يوم أراك،

و أذهب

و حاولت أن أستعيد صداقة أشياء غابت_ نجحت

و حاولت أن أتباهى بعينين تتسعان لكل خريف_

نجحت_ و حاولت أن أرسم اسما يلائم زيتونة

حول خاصرة_ فتناسل كوكب.

أريدك حين أقول أنا لا أريدك..

و جهي تساقط، نهر بعيد يذوب جسمي و في السوق

باعوا دمي كالحساء المقلب

أريدك حين أقول أريدك_

يا امرأة وضعت ساحل البحر الأبيض المتوسط في

حضانها.. و بساتين آسيا على كتفها.. و كلّ

السلاسل في قلبها.

أريدك، أو لا أريدك_

إنّ خريز الجداول. إن حفف الصنوبر. إنّ هدير

البحار، وريش البلابل محترق في دمي_ ذات

يوم أراك، و أذهب

أغنيك، أو لا أغنيك_

أسكت، أصرخ. لا موعد للصراخ و لا موعد

للسكوت. و أنت الصراخ الوحيد و أنت السكوت

الوحيد.

تداخل جلدي بحنجرتي، تحت نافذتي تعبر الريح

لابسة حرسا. و الظلام بلا موعد. حين ينزل

عن راحتي الجنود

سأكتب شيئا.

و حين سينزل عن قدمي الجنود

سامشي قليلا..

و حين سيسقط عن ناظريّ الجنود

أراك.. أرى قامتي من جديد.

أغنيك،أو لا أغنيك

أنت الغناء الوحيد، و أنت تغنيّني لو سكتّ. و أنت

السكوت الوحيد.

-2-

في الأيام الحاضرة

أجد نفسي يابسا

كالشجر الطالع من الكتب

و الريح مسألة عابرة.

أحارب.. أو لا أحارب؟

ليس هذا هو السؤال

المهمّ أن تكون حنجرتي قوية

أعمل.. أو لا أعمل؟..

ليس هذا هو السؤال

المهمّ أن أرتاح ثمانية أيام في الأسبوع

حسب توقّيت فلسطين

أيّها الوطن المتكرر في الأغاني و المذابح،

دلّني على مصدر الموت

أهو الخنجر.. أم الأكذوبة؟

لكي أذكر أن لي سقفا مفقودا

ينبغي أن أجلس في العراء.

و لكيلا أنسى نسيم بلادي النقي

ينبغي أن أتنفس السل

و لكي أذكر الغزال السابح في البياض

ينبغي أن أكون معتقلا بالذكريات.

و لكيلا أنسى أن جبالي عالية

ينبغي أن أسرح العاصفة من جبيني.

و لكي أحافظ على ملكية سمائي البعيدة

يجب ألا أملك حتى جلدي.

أيها الوطن المتكرر في المذابح و الأغاني

لماذا أهربك من مطار إلى مطار

كالأفيون..

و الحبر الأبيض

و جهاز الإرسال؟!

أريد أن أرسم شكلك.

أيها المبعثر في الملفات و المفاجآت

أريد أن أرسم شكلك

أيها المتطايير على شظايا القذائف و أجنحة العصفير

أريد أن أرسم شكلك

فتخطف السماء يدي.

أريد أن أرسم شكلك
أيها المحاضر بين الريح و الخنجر
أريد أن أرسم شكلك
كي أجد شكلي فيك
فأنهم بالتجريد و تزوير الوثائق و الصور الشمسية
أيها المحاصر بين الخنجر و الريح
و يا أيها الوطن المتكرر في الأغاني و المذابح
كيف تتحول إلى حلم و تسرق الدهشة
لنتركي حجرا
لعلك أجمل في صيرورتك حلما
لعلك أجمل..!
لم يبق في تاريخ العرب
اسم أستعيـره
لأتسلل به إلى نوافذك السريّة.
كل الأسماء السرية محتجزة
في مكاتب التجنيد المكيفة الهواء
فهل تقبل اسميـ
اسمي السري الوحيدـ
محمود درويش ؟
أما اسمي الأصلي
فقد انتزعتـه عن لحمي

سيط الشرطة و صنوبر الكرمل
أيها الوطن المتكرر في المذابح و الأغاني

دلني على مصدر الموت

أهو الخنجر

أم الأكذوبة؟!

-3-

يوم كانت كلماتي

تربة..

كنت صديقا للسنايل

يوم كانت كلماتي

غضبا..

كنت صديقا للسلاسل

يوم كانت كلماتي

حجرا..

كنت صديقا للجداول.

يوم كانت كلماتي

ثورة..

كنت صديقا للزلازل

يوم كانت كلماتي

حنظلا..

كنت صديق المتفائل

حين صارت كلماتي

عسلا..

غطى الذباب

شفتي..!

-4-

تركت وجهي على منديل أمي

و حملت الجبال في ذاكرتي

ورحلت..

كانت المدينة تكسر أبوابها

وتتكاثر فوق سطوح السفن

كما تتكاثر الخضرة في البساتين التي تبتعد

إنني أتكيء على الريح

يا أيتها القامة التي لا تنكسر

لماذا أترنح؟.. و أنت جداي

و تصقلني المسافة

كما يصقل الموت الطازج وجوه العشاق

و كلما ازددت اقترابا من المزامير

ازددت نحولا..

يا أيتها الممرات المحتشدة بالفراغ

مت أصل؟..

طوبى لمن يلتف بجلده!

طوبى لمن يتذكر اسمه الأصلي بلا أخطاء!

طوبى لمن يأكل تفاحة و لا يصبح شجرة

طوبى لمن يشرب من مياه الأنهار البعيدة

و لا يصبح غيما!

طوبى للصخرة التي تعشق عبوديتها

و لا تختار حرية الريح..!

5

أكلما وقفت غيمة على حائط

تطايرت إليها جبهتي كالنافذة المكسورة

ونسيت أني مرصود بالنسيان

وفقدت هويتي؟

إنني قابل للانفجار

كالبكرة..

وكيف تتسع عيناى لمزيد من وجوه الأنبياء؟

إتبعيني أيتها البحار التى تسأم لونها

لأدلك على عصا أخرى

إنني قابل للأعجوبة

كالشرق..

أنا حالة تفقد حالتها

حين تكفّ عن الصراخ

هل تسمّون الرعد رعدا والبرق برقاً

إذا تحجّر الصوت، وهاجر اللون؟!

أكلما خرجت من جلدي.

ومن شيخوخة المكان

تناسل الظلّ، وغطاني..؟

أكلما أطلقت رياحي في الرماد

بحثاً عن جمرة منسيّة

لا أجد غير وجهي القديم الذي تركته

على منديل أمي؟

إنني قابل للموت

كالصاعقة..

6

أشجار بلادني تحترف الخضرة

وأنا أحترف الذكرى

والصوت الضائع في البرية

ينعطف نحو السماء، ويركع:

أيّها الغيم! هل تعود؟

لست حزينا إلى هذا الحدّ

ولكن، لا يحب العصافير

من لا يعرف الشجر،

ولا يعرف المفاجأة

من اعتاد الأكذوبة

لست حزينا إلى هذا الحد
ولكن، لا يعرف الكذب
من لم يعرف الخوف
أنا لست منكمشا إلى هذا الحد
ولكن الأشجار هي العالية.
سيداتي، أنساتي، سادتي
أنا أحبّ العصافير
وأعرف الشجر
أنا أعرف المفاجأة
لأنني لم أعرف الأكذوبة.
أنا ساطع كالحيقة والخنجر
ولهذا أسألكم:
أطلقوا النار على العصافير
لكي أصف الشجر.
أوقفوا النيل
لكي أصف القاهرة.
أوقفوا دجلة أو الفرات أو كليهما
لكي أصف بغداد.
أوقفوا بردي
لكي أصف دمشق!
وأوقفوني عن الكلام

لكي أصف نفسي..

-7-

ظلّ النخيل، و آخر الشهداء، و المذيع يرسل صقرة

صوتية عن حالة الأحباب يوميًا، أحبك في

الخريف و في الشتاء

لم تبك حيفًا، أنت تبكي، نحن لا ننسى تفاصيل

المدينة، كانت امرأة، و كانت أنبياء

البحر! لا، البحر لم يدخل منازلنا بهذا الشكل

خمس نوافذ غرقت و لكن السطوح تعج

بالعشب المجفف و السماء

و دعت سجاني سعيدا كان بالحرب الرخيصة

آه يا وطن الفرنفل و المسدس لم تكن أمي معي

و ذهبت أبحث عنك خلف الوقت و المذيع شكلك

كان يكسرنى و يتركني هباء

كان الكلام خطيئة و الصمت منفى و الفدائيون

أسرى توقفهم للموت في واديك كان الموت تذكر

الدخول إلى يديك و كنت تحتقر البكاء

و الذكريات هوية الغرباء أحيانا و لكن الزمان

يضاجع الذكرى و ينجب لاجئين و يرحل

الماضي و يتركهم بلا ذكرى أتذكرنا و ماذا

لو تقول بلى أنذكر كل شيء عنك ماذا

لو تقول بلى و في الدنيا قضاة يعبدون الأقوياء
من كل نافذة رميت الذكريات كقشرة البطيخ
و استلقيت في الشفق المحاذي للصنوبر (تلمع
الأمطار في بلد بعيد تقطف الفتيات خوفا غامضا
و الذكريات تمرّ مثل البرق في لحمي و ترجعني
إليك إليك إن الموت مثل الذكريات كلاهما
يمشي إليك إليك يا وطننا تأرجح بين كل
خناجر الدنيا و خاصرة السماء
ظل النخيل و آخر الشهداء و المذيع يرسل صورة
صوتية عن حالة الأحباب يوميا أحبك في
الخريف و في الشتاء

-8-

حالة الاحتضار الطويلة
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتا..قلوبا
..سنابل
منحتني هوية
جعلتني قضية
حالة الاحتضار الطويلة.

كان يبدو لهم
أنني ميّت ، و الجريمة مرهونة بالأغاني

فمروا، و لم يلفظوا اسمي.
دفنوا جثتي في الملفات و الانقلابات
و ابتعدوا
(و البلاد التي كنت أحلم فيها_ سوف
تبقى البلاد التي كنت أحلم فيها.)

كان عمرا قصيرا
و موتا طويلا
و أفقت قليلا
و كتبت اسم أرضي على جثتي
و على بندقيّة
قلت: هذا سبيلي
و هذا دليلي
إلى المدن الساحليّة.
و تحركت ،
لكنهم قتلوني.
دفنوا جثتي في الملفات و الانقلابات،
و ابتعدوا.
(و البلاد التي كنت أحلم فيها_
سوف تبقى البلاد التي كنت أحلم فيها.)
أنا في حالة الاحتضار الطويلة
سيّد الحزن.

و الدمع مع كل عاشقة عربية
و تكاثر حولي المغنّون و الخطباء
و على جثتي ينبت الشعر و الزعماء
و كل سماء اللغة الوطنية

صفذقوا

صفقوا

صفقوا

و لتعش

حالة الاحتضار الطويلة

حالة الاحتضار الطويلة

أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفولة

أدخلتني بيوتاً.. قلوباً سنابل

جعلتني قضية

منحتني هوية

و تراث السلاسل.

-9-

إنني أتأهبّ للانفجار

على حافة الحلم

كما تتأهبّ الآبار اليابسة

للفيضان.

إنني أتأهبّ للانطلاق

على حافة الحلم
كما تتأهب الحجارة
في أعماق المناجم الميتة
إنني أتحفز للموت
على حافة الحلم
كما يتحفز الشهيد للموت
مرة أخرى.

إنني أتأهب للصراخ
على حافة الحقيقة
كما يتأهب البركان
للانفجار.

-10-

الرحيل انتهى
من يغطي حبيبي
كيف مر المساء المفاجيء
كيف اختفى
في عيون حبيبي ؟
الرحيل انتهى.
أصدقائي يمرون عني.
أصدقائي يموتون فجأة
في جناح السنونو.

الرحيل ابتداء
حين فر السجين.
ما عرفت الضياع
في صرير السلاسل
كان لحمي مشاع
كسطوح المنازل
لعدوي و لكن
ما عرف الضياع
في صرير السلاسل
أصدقائي يمرون عني
أصدقائي يموتون فجأة.

-11-

أداعب الزمن
كأمير يلاطف حصانا.
و ألعب بالأيام
كما يلعب الأطفال بالخرز الملون
إنني أحتفل اليوم
بمرور يوم على اليوم السابق
و أحتفل غدا
بمرور يومين على الأمس
و أشرب نخب الأمس

ذكرى اليوم القادم

و هكذا.. أو اصل حياتي ١

عندما سقطت عن ظهر حصاني الجامح

و انكسرت ذراعي

أوجعتني إصبعي التي جرحت

قبل ألف سنة!

و عندما أحييت ذكرى الأربعين لمدينة عكا

أجهشت في البكاء على غرناطة

و عندما التفّ حبل المشنقة حول عنقي

كرهت أعدائي كثيرا

لأنهم سرقوا ربطة عنقي!

-12-

نرسم القدس:

إله يتعرّى فوق خطّ داكن الخضرة. أشباه عصافير تهاجر

و صليب واقف في الشارع الخلفي. شيء يشبه البرقوق

و الدهشة من خلف القناطر

و فضاء واسع يمتدّ من عورة جندي إلى تاريخ شاعر.

نكتب القدس:

عاصمة الأمل الكاذب .. الثائر الهارب .. الكوكب

الغائب. اختلطت في أزقتها الكلمات الغريبة،

و انفصلت عن شفاه المعّنين و الباعة القبل

السابقة.

قام فيها جدار جديد لشوق جديد، و طروادة
التحقت بالسبايا. و لم تقل الصخرة الناطقة
لفظة تثبت العكس. طوني لمن يجهض النار في

الصاعقة!

و تغني القدس:

يا أطفال بابل

يا مواليد السلاسل

ستعودون إلى القدس قريبا

و قريبا تكبرون.

و قريبا تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

قريبا يصبح المع سنابل

آه، يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريبا

و قريبا تكبرون.

و قريبا

و قريبا

وقريبا..

هلوليا

هلوليا!

عائد إلى يافا

هو الآن يرحل عنا

ويسكن يافا

و يعرفها حجرا حجرا

و لا شيء يشبهه

و الأغاني

تقلده..

تقلد موعده الأخضر.

هو الآن يعلن صورته _

و الصنوبر ينمو على مشنقة

هو الآن يعلن قصته _

و الحرائق تنمو على زنبقة

هو الآن يرحل عنا

ليسكن يافا

و نحن بعيدون عنه.

و يافا حقائب منسية في مطار

و نحن بعيدون عنه.

لنا صور في جيوب النساء.

و في صفحات الجرائد،

نعلن قصتنا كل يوم

لنكسب خصلة ريح وقبلة نار.

و نحن بعيدون عنه،
نهيب به أن يسير إلى حتفه..
نحن نكتب عنه بلاغا فصيحاً
و شعراً حديثاً
و نمضي.. لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف
و نحتجّ: ليس لنا في المدينة دار.
و نحن بعيدون عنه،
نعانق قاتله في الجنازة،
نسرق من جرحه القطن حتى نلمع
أوسمة الصبر و الانتظار
هو الآن يخرج منا
كما تخرج الأرض من ليلة ماطره
و ينهمر الدم منه
و ينهمر الحبر مثلاً.
و ماذا نقول له؟- تسقط الذاكرة
على خنجر؟
و المساء بعيد عن الناصرة!
هو الآن يمضي إليه
قنابل أو.. برتقاله
و لا يعرف الحدّ بين الجريمة حين تصوير حقوقاً
و بين العدالة

و ليس يصدّق شيئاً

و ليس يكذب شيئاً.

هو الآن يمضي.. و يتركنا

كي نعارض حيناً

و نقبل حيناً.

هو الآن يمضي شهيداً

و يتركنا لاجئينا!

و نام

و لم يلتجئ للخيام

و لم يلتجئ للموانيء

و لم يتكلم

و لم يتعلم

و ما كان لاجيء

هي الأرض لاجئة في جراحة

و عاد بها.

لا تقولوا: أبانا الذي في السموات

قولوا: أخانا الذي أخذ الأرض منا

و عاد..

هو الآن يعدم

و الآن يسكن يافاً

و يعرفها حجراً.. حجراً

و لا شيء يشبهه

و الأغاني

تقلده.

تقلد موعده الأخضر

لترتفع الآن أذرة اللاجئين

رياحا.. رياحا

لتنشر الآن أسماؤهم

جراحا.. جراحا.

لتنفجر الآن أجسادهم

صباحا.. صباحا.

لتكتشف الأرض عنوانها

و نكتشف الأرض فينا.

عازف الجيتار المتجول

كان رسّاما،

ولكن الصّور

عادة،

لا تفتح الأبواب

لا تكسرها..

لا تردّ الحوت عن وجه القمر.

0) يا صديقي، أيّها الجيتار

خذني..

للشبابيك البعيده

شاعرا كان،

ولكن القصيده

يبست في الذاكره

عندما شاهد يافا

فوق سطح الباخره

(يا صديقي، أيّها الجيتار

خذني..

للعيون العسلية

كان جنديّا،

ولكن شظيّه

طحنت ركبته اليسرى

فأعطوه هديّه:

رتبة أخرى

ورجلا خشبيّيه..!

(يا صديقي، أيّها الجيتار

خذني..

للبلاد النائمه)

عازف الجيتار يأتي

في الليالي القادمه

عندما ينصرف الناس إلى جمع توافيع الجنود

عازف الجيتار يأتي

من مكان لا نراه

عندما يحتفل الناس بميلاد الشهود

عازف الجيتار يأتي

عاريا، أو بثياب داخلّيه.

عازف الجيتار يأتي

وأنا كدت أراه

وأشمّ الدم في أوتاره

وأنا كدت أراه

سائرا في كل شارع

كدت أن أسمعه

صارخا ملء الزوابع

حدّثوا:

تلك رجل خشية

واسمعوا:

تلك موسيقى اللحوم البشريه

Akhavnia

تقاسيم على الماء

وراء الخريف البعيد

ثلاثون عاما

وصورة ريتا

وسنبلة أكملت عمرها

في البريد.

وراء الخريف البعيد

أحبك يوما.. وأرحل

تطير العصفير باسمي

وتقتل

أحبك يوما

وأبكي

لأنك أجمل من وجه أمي

وأجمل

من الكلمات التي شرّدتني..

على الماء وجهك.

ظل السماء

يخاصم ظلي

وتمنعي من محاذاة هذا المساء

نوافذ أهلي.

متى يذبل الورد في الذاكره؟

متى يفرح الغرباء؟
لكي أصف اللحظة العائمه

على الماءِ
أسطورة أو سماء..
..وتحت السماء البعيده

نسيّتك،
تنمو الزنايق
هناك.. بلا سبب
والبنادق

هناك.. بلا غضب
والقصيده
هناك بلا شاعر
والسماء البعيده

تحاذي سطوح المنازل
وقبعة الشرطيّ
وتنسى جبين..ي

وتحت المساء الغريب
تعذبنا الأرض،

جسمك يقتبس البرتقال
ويهرب مّني.

أحبّك،

والأفق يأخذ شكل سؤال

أحبك،

والبحر أزرق

أحبك،

والعشب أخضر

أحبك_ زنبق

أحبك_ خنجر

أحبك يوما

وأعرف تاريخ موتي

أحبك يوما

بدون انتحار

وراء الخريف البعيد

أمشط شعرك.

أرسم خصرك.

في الريح، نجما.. وعيد

أحبك يوما

أحبك قرب الخريف البعيد

تمرّ العصافير باسمي

طليقه

وباسمي_ يمر النهار

حديقته،

وباسمك أحيـا

أحبك يوما

وأحيـا..

وراء الخريف البعيد.

Akhavnia

قتلوك في الوادي

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتي

ماذا تقول النار في وطني

ماذا تقول النار؟

هل كنت عاشقتي

أم كنت عاصفة على أوتار؟

وأنا غريب الدار في وطني

غريب الدار..

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتي

ماذا يقول البرق للسكين

ماذا يقول البرق

هل كنت في حطين

رمزا لموت الشرق

وأنا صلاح الدين

أم عبد الصليبي؟

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتي

ماذا تقول الشمس في وطني

ماذا تقول الشمس؟

هل أنت ميتة بلا كفن
وأنا بدون القدس؟
طلعت من الوادي
يقل تضائل الوادي وغاب
وجمالها السري لفّ سنابل القمح الصغيره
حل أسئلة التراب.
هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلي
يا كل أزهار الجليل
وكل أيتام الجليل
هل تذكرون الصيف يصعد من أناملها
ويفتح كل باب.
قالت بنفسجة لجارتها
عطشت،
وكان عبد الله يسقيني
فمن أخذ الشباب من الشباب؟
طلعت من الوادي
وفي الوادي تموت..
ونحن نكبر في السلاسل
طلعت من الوادي مفاجأة
وفي الوادي تموت على مراحل.
ونمرّ عنها الآن جيلا بعد جيل.

ونبيع زيتون الجليل بلا مقابل

ونبيع أحجار الجليل

ونبيع تاريخ الجليل

ونبيعها.

كي نشترى في صدرها شكلا

لمقتول يقاتل

لم أعترف بالحبّ عن كثب

فليعترف موتي

وطفولتي_ طروادة العرب

تمضي..و لا تأتي

كلّ الخناجر فيك،

فارتفعي

يا خضرة الليمون

وتوهجي في الليل

واتسعي

لبكاء من يأتون

الريح واقفة على خنجر

ودماؤنا شفق

لا تحرقى منديلك الأخضر

الليل يحترق

طوبى لمن نامت على خشبه

ملء الردى.. حيّه
طوبى لسيف يجعل الرقبه
أنهار حريّه!
لم نعترف بالحبّ عن كذب
فليغضب الغضب
نمشي ألى طروادة العرب
والبعد يقترب
لا تذكرينا
حين نفلت من يدك
ألى المنافى الواسعه
أنا تعلمنا اللغات الشائعه
ومتاعب السفر الطويل
ألى خطوط الاستواء
والنوم في كل القطارات البطيئه والسريعه
والحبّ في الميناء..
والغزل المعدّ لكل أنواع النساء
أنا تعلمنا صداقة كل جرح
ومصارع العشاق
والشوق المّلعب
والحساء بدون ملح
يا أيّها البلد البعيد

هل ضاع حَبِّي في البريد؟

لا قبله المطاط تأتينا

ولا صدا الحديد

كلّ البلاد بلادنا

ونصيينامنه.. ابريد!

لا تذكرينا

حين نفلت من يدك

ألى السجون

أنا تعلمنا البكاء بلا دموع

وقراءة الأسوار والأسلاك والقمر الحزين

حريه..

وحمامه..

ورضا يسوع.

وكتابة الأسماء

عائشه تودّع زوجها

وتعيش عائشه..

تعيش روائح الدم والندى والياسمين

يا أيّها الوجه البعيد

قتلوك في الوادي،

وما قتلوك في قلبي

أريدك أن تعيد

تكوين تلقائي

يا أيها الوجه البعيد!

ولتذكرنا..

حين نبحت عنك تحت المجزره

وليبق ساعدك المطلّ على هدير البحر

والدم في الحقائق

وعلى ولادتنا الجديده.

قنطره!

ولتبق كل زنايق الكف النديه

في حديقته

فأنا قادمون

من يشتري للموت تذكرة سوانا

اليوم.. من!

نحن اعتصرنا كل غيم خرائط الدنيا

وأشعار الحنين إلى الوطن

لا ماؤها يروي

ولا أشواقها تكوي

ولا تبني وطن.

ولتذكرنا

نحن نذكرك اخضرارا طالعا من كل دم

طين.. ودم

شمس ..ودم

زهر ..ودم

ليل ..و دم

وسنشتهيكَ _

وأنت طالعة من الوادي

وناراة ألى الوادي

غزالا سابحا في حقل دم

دم

دم

دم..

يا قبلة نامت على سكين

تفاحة القبل

من يذكر الطعم الذي يبقى _

ولا تبقي _ن

كحديقة الأمل!

_أنا كبرنا أيها المسكين

.قالت الدنيا.

_حبيبتى؟

"لا يكبر الموتى

_وأقماري؟

سقطت مع الدار"

يا قبلة نامت على سكين
هل تذكرين فمي؟
أني أحبك حين تحترقين
هل تحرقين دمي!
كالزنبق اللاذع
واحِبّ موتك حين يأخذني
ألى وطني
كالطائر الجائع
يا قبلة نامت على سكي..ن
البرتقال يضيء غربتنا
البرتقال يضيء
والياسمين يثير عزلتنا
والياسمين نريء
يا قبلة نامت على سكي.ن
تستيقظين على حدود الغد
تستيقظين الآن
وتبعثرين الساحل الأسود
كالريح والنسيان
يا قبلة نامت على سكين
كبر الرحيل
كبر اصفرار الورد يا حبي القليل

كبر التسكع في ضياء العالم المشغول عني

كبر المساء على شوارع كل منفى

كبر المساء على نوافذ كل سجن

وكبرت في كل الجهات

وكبرت في كل الفصول..

وأراك

تبتعدين.. تبتعدين في الوادي البعيد

وتغادرين شفاهنا

وتغادرين جلودنا

وتغادرين..

وأنت عيد

وأراك

أشجار النخيل

سقطت.

وماذا قال عبد الله؟

-في الزمن البخيل

يتكاثر الأطفال والذكرى وأسماء الإله

وأراك

كل يد تصيح هناك آه

كنا صغارا

كانت الأشياء جاهزة

وكان الحبّ لعبه.

وأراك

وجهي فيك يعرفني

ويعرف كلّ حبّه

من شاطئ الرمل الكبير

وأنت تبتهدين عني

والموت لعبه..

وأراك..

أحنت غابة الزيتون هامتها

لريح عابره

كل الجذور هنا

هنا

كل الجذور

الصابره

فلتحترق كل الرياح السود

في عينيّين معجزتين

يا حبي الشجاع

لم يبق شيء للبكاء

إلى اللقاء

إلى اللقاء

كبرت مراسيم الوداع

والموت مرحلة بدأناها

وضاع الموت

ضاع

في ضجة الميلاد

فامتي

من الوادي إلى سبب الرحيل

جسدا على الأوتار يركض

كالغزال المستحيل..

Akhnawia

مرة أخرى

مرة أخرى

ينام القتل

تحت جلدي

وتصير المشنقه

علما

أو

سنبله

في سماء الغابة المحترقه

حذف الظل يديها من جبیني

فاختبأنا في الظهيره

مرة أخرى

يمر العسكريّ

تحت جلدي

مرة أخرى

يواري شفتي

في تجاعيد النشيد الوطن!ي

حذف الظل يديها من جبیني

فاختبأنا في الظهيره

مرّة أخرى

يفر الشهداء

من أغاني الشعراء

مرة أخرى

نزلنا عن صليبينا

فلم نعثر على أرض

ولم نبصر سماء

حذف الظلّ يديها من جبيني

فاختبأنا في الظهيره

مرّة أخرى

اتحدنا

أنا والقاتل والموت المعاد

أصبحت حرّيتي عبأ

على قلبي

وعيناها منافي وبلاد

مرّة أخرى

يضيع الماء في الغيم

وندعى للجهاد...!

حذف الظلّ يديها من جبيني

فاختبأنا في الظهيره

قتلوا في الظهيره

بدلا مني،

ولم يعتقلوني

مرة أخرى

لأن القتل

تحت جلدي

Akhaviva

أغنية إلى الريح الشمالية

قبلَ مجففة على المنديل

من دار بعيد

ونوافذ في الريح،

تكتشف المدينة في القصيده.

كان الحديث سدى عن الماضي

وكسرني الرحيل

وتقاسمتني زرقة البحر البعيد

وخضرة الأرض البعيدة

أماه!.. وانتحرت بلا سبب

عصافير الجليل.

يا أيها القمر القريب من الطفولة والحدود

لا تسرق الحلم الجميل

من غرفة الطفل الوحيد

ولا تسجل فوق أحذية الجنود

إسمي وتاريخي- _

سألتك أيها القمر الجميل.

هربت حقول القمح من تاريخها

هرب النخيل.

كان الحديث سدى عن الماضي

وكان الأصدقاء

في مدخل البيت القديم يسجلون

أسماء موتاهم

وينتظرون بوليسا

وطوق الياسمين

قبل مجففة على المنديل

من دار بعيدة.

ونوافذ في الريح تكسر جبهتي

قرب المساء

كان البريد يعيد ذاكرتي من المنفى

ويبعثني الشئ

غصنا على أشجار موتانا

وكان الأصدقاء

في السجن.

كانوا يشترون الضوء

والأمل المهرّب

والسجائر

من كل سجّان وشاعر

كانوا يبيعون العذاب لأي عصفور مهاجر

ما دام خلف السور حقل من ذره

وسنابل تنمو..

بلادي خلف نافذة القطار

تفاحة مهجوره.

ويدان يا بستان كالدفلـى..

كأسماء الشوارع..

كالحصار.

بالقيد أحلم،

كي أفسّر صرختي للعابرين

بالقيد أحلم،

كي أرى حريّتي، وأعدّ أعمار السنين

بالقيد أحلم،

كيف يدخل وجه يافا في حقيبـه

بيني وبينك برهة في زي مشنقة

ولم أشنق.. فعدت بلا جبيـن.

بيني وبين البرهة امتدّت عصور

بالقيد أحلم،

كيف يدخل وجه يافا في حقيبـه..!

قبلَ مجقفة على المنديل

من دار بعيدـه.

ونوافذ في الريح، يا ريح الشمال

ردّي إلى الأحباب قبلتهم

ولا تأتي إلى!

من يشتري صدر المسيح

ويشتري جلد الغزال

ومعسكرات الاعتقال

ديكور أغنية عن الوطن المفتت في يدي..!

كان الحديث سدى عن الماضي،

وكان الأصدقاء

يضعون تاريخ الولادة بين ألياف الشجر

ودّعتهم..

فنسيت خاصرتي وحنجرتي وميعاد المطر

وتركت حول زنودهم قيدي

فصرت بدون زند، واختصمت مع الشجر

والأصدقاء هناك ينتظرون بوليسا

وطوق الياسمين

وأنا أحاول أن أكون

ولا أكون..

أغنيات حب إلى أفريقيا

هل يأذن الحرّاس لي بالانحناء

فوق القبور البيض يا إفريقيا؟

ألقت بنا ريح الشمال إليك

واختصر المساء

أسماءنا الأول..ى

وكنا عائدين من النهار

بكأية التنقيب عن تاريخنا الآتي

وكنا متعبي.ن

ضاع المغني والمحارب والطريق إلى النهار

_من أنت؟

"عصفور يجفّ ريشه الدامي"

_وكيف دخلت؟

"كان الأفق مفتوحا؟

وكان الأكسجين

ملء الفضاء

_وما تريد الآن؟

"ريشة كبرياء

وأريد أن أرث الحشائش والغناء

فوق القبور البيض.. يا إفريقيا!

هل يأذن الحراس لي بالاقتراب

من جثة الأبنوس.. يا إفريقيًا؟

ألفت بنا ربح الشمال إليك،

واختبأ السحاب

في صدرك العاري،

ولم تعلن صواعقنا حدود الاغتراب

والشمس بالمجان مثل الرمل والدم،

والطريق إلى النهار

يمحو ملامحنا، ويتركنا نعيد لانتظار

صفا من الأشجار والموتى

تحبك..

نشتهي الموت المؤقت

نشتهيه ويشتهينا

نلتف بالمدن البعيدة والبحار

لنفسر الأمل المفاجيء

والرجوع إلى المرايا

من أنت؟

"جندي يعود من التراب

بهمزيمة أخرى وصورة قائد

ماذا تريد؟

"بيتنا لأمعائي وطفلا من حديد

وأريد صك براءتي

"وأريد يا إفريقيا

ماذا تريد

أريد أن أرث السحاب

من جثة الأبنوس.. يا إفريقيا

ألقت بنا ريح الشمال إليك

يا إفريقيا..

ألقت بنا ريح الشمال

لنكون عشاقا وقتلى.

وبدون ذاكرة ذكرنا كل شيء عن ملامحنا

ووجهك فوق خارطة الظلال

مرّ المغني تحت نافذة

وخبأصوته في راحتيه

سرا يحبك، أو علانية يمرّ

وينحني كالقوس، يا إفريقيا

وحشيتان

عيناك_ يا إفريقيا_ وحزینتان

عيناك كالحبّ المفاجيء

كالبراءة حين تفتزع البراءة

مرّ المغني تحت نافذة

وأعلن يأسه

_من أنت؟

"عاشق

_من أنت جئت؟

أنا من سلالات الزنابق والمشانق

والريح تحبل.. ثم تنجني

وترميني على كل الجهات

_ماذا تريد؟

"أريد ميلادا جديد

وأريد نافذة جديده

لأحبها سرًا وتقتلني علانية

وأرحل عنك.. يا إفريقيا!

المدينة المحتلة

الطفلة احترقت أمها

أمامها..

احترقت كالمساء.

وعلموها: يصير اسمها _

في السنة القادمة _

سيدة الشهداء

وسوف تأتي إليها

إذا وافق الأنبياء!

الطفلة احترقت أمها

أمامها..

احترقت كالمساء

من يومها،

لا تحب القمر

ولا الدمي

كلما

جاء المساء، صرخت كلها:

أنا قتلت القمر

لأنه قال لي.. قال.. قال:

أمك لا تشبه البرتقال

ولا جذوع الشجر

أمك في القبر
لا في السماء.
الطفلة احترقت أمها
أمامها..
احترقت كالمساء..

عابر السبيل

بلادي بعيده
تبخر مني ثراها
إلى داخلي.
لا أراها.
وأنت بعيده
أراك
كومضة ورد مفاجيء
وفي جسدي رغبة في الغناء
لكل الموانىء.
وإني أحبك
لكنني
لا أحب الأغاني السريعه
ولا القبل الخاطفه
وأنت تحبينها
كبّحارة يائسي..ن

أرى عبر زنيقة المائدة

و عبر أناملك الشاردة

أرى البرق يخطف وجهي القديم

إلى شرفة ضائعة

و أنت تحبينيـ

قلتـ

من أجل هذا المساء.

لنرقص إذن ،

أنا الماء و الظل

و الظل و الماء لا يعرفان الخيانة

و لا الانكسار

و لا يذكران

و لا ينسيان

و لكن.. لماذا ؟

لماذا توقفت الأسطوانة

و من خدش الأسطوانة

لماذا تدور على نفسها:

بلادي بعيدة

بلادي

بلادي

بلادي

خطوات في الليل

دائماً ،

نسمع في الليل خطى مقتربة

و يفرّ الباب من غرفتنا

دائماً،

كالسحب المغتربة!

ظلك الأزرق من يسحبه

من سريري كلّ ليلة؟

الخطى تأتي، و عيناك بلاد

و ذراعاك حصار حول جسمي

و الخطى تأتي

لماذا يهرب الظل الذي يرسمني

يا شهرزاد؟

و الخطى تأتي و لا تدخل

كوني شجرا

لأرى ظلك

كوني قمرا

لأرى ظلك

كوني خنجرا

لأرى ظلك في ظلي

وردا في رماد...!

دائماً ،

أسمع في الليل خطى مقتربة

و تصيرين منافي

تصيرين سجوني..

حاولي أن تقتليني

دفعة واحدة

لا تقتليني

بالخطى المقتربة..!

Akhawia

سرحان يشرب القهوة فى الكفاتيريا

يجيئون،

أبوابنا البحر، فاجأنا مطر. لا إله سوى الله. فاجأنا
مطر و رصاص. هنا الأرض سجادة، و الحقائق
غربة!

يجيئون،

فلتترجل كواكب تأتي بلا موعد. و الظهور التي
استندت للخناجر مضطرة للسقوط
و ماذا حدث ؟

أنت لا تعرف اليوم. لا لون. لا صوت. لا طعم
لا شكل.. يولد سرحان، يكبر سرحان،
يشرب خمرا و يسكر. يرسم قاتله، و يمزق
صورته. ثم يقتله حين يأخذ شكلا أخيرا
و يرتاح سرحان:

سرحان! هل أنت قاتل ؟

و يكتب سرحان شيئا على كم معطفه، ثم تهرب
ذاكرة من ملف الجريمة.. تهرب.. تأخذ
منقار طائر.

و تأكل حبة قمح بمرج بن عامر

و سرحان متهم بالسكوت، و سرحان قاتل

و ما كان حبّا

يدان تقولان شيئاً، و تنطفئان

قيود تلد

سجون تلد

مناف تلد

و نلتف باسمك.

ما كان حباً

يدان تقولان شيئاً.. و تنطفئان

و نعرف، كنا شعوبا و صرنا حجارة

و نعرف كنت بلادا و صرت دخان

و نعرف أشياء أكثر

نعرف، لكن كل القيود القديمة

تصير أساور ورد

تصير بكارة

في المنافى الجديدة

و نلتف باسمك

ما كان حباً

يدان تقولان شيئاً و تنطفئان.

و سرحان يكذب حين يقول رضعت حليبك، سرحان

من نسل تذكرة، و تربى بمطبخ باخرة لم تلامس

مياهاك. ما اسمك؟

نسيت.

و ما اسم أبيك ؟

_نسيت

و أمك

_نسيت

و هل نمت ليلة أمس ؟

_لقد نمت دهرًا

حلمت ؟

_كثيرًا

بماذا

_بأشياء لم أرها في حياتي

و صاح بهم فجأة:

_لماذا أكلتم خضارًا مهربة من حقول أريحا؟

_لماذا شربتم زيتونًا مهربًا من جراح المسيح؟

و سرحان متهم بالشذوذ عن القاعدة

رأينا أصابعه تستغيث. و كان يقيس السماء بأغلاله

زرقة البحر يزجرها الشرطيّ، يعاونه خادم آسيويّ،

بلاد تغيّر سكانها، و النجوم حصى

و كان يغنّي مضيّ جيلنا و انقضى.

مضى جيلنا و انقضى.

و تناسل فينا الغزاة تكاثر فينا الطغاة. دم كالمياه.

و ليس تجفّفه غير سورة عم و قبعة الشرطيّ

و خادمة الآسيوي. و كان يقيس الزمان بأغلاله

سألناه: سرحان عم تساءلت؟

قال: اذهبوا، فذهبنا

إلى الأمهات اللواتي تزوجن أعداءنا.

و كنّ ينادين شيئاً شبيهاً بأسمائنا.

فيأتي الصدى حرساً

ينادين قمحا

فيأتي الصدى حرساً

ينادين عدلاً

فيأتي الصدى حرساً.

ينادين يافاً

فيأتي الصدى حرساً

و من يومها، كفت الأمهات عن الصلوات و صرنا

نقيس السماء بأغلالنا

و سرحان يضحك في مطبخ الباخرة

يعانق سائحة، و الطريق بعيد عن القدس و الناصرة

و سرحان متهم بالضياح و العدمية

و كلّ البلاد بعيدة.

شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني

و عزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان)

ورائحة البن جغرافياً

و ما شرّدوك.. و ما قتلوك.

أبوك احتّمى بالنصوص، و جاء اللصوص

و لست شريدا.. و لست شهيدا.. و أمك باعت

ضفائرها للسنابل و الأمنيات: (و فوق سواعدنا

فارس لا يسلم (وشم عميق). و فوق أصابعنا

كرمة لا تهاجر (وشم عميق)

خطى الشهداء تبيد الغزاة

(نشيد قديم)

و نافذتان على البحر يا وطني تحذفان المنافى.. وأرجع

(حلم قديم -جديد)

شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني

و عزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان).

و رائحة البن جغرافيا

و رائحة البن يد

و رائحة البن صوت ينادي.. و يأخذ

رائحة البن صوت و مئذنه (ذات يوم تعود).

و رائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب ينكمش

الماء يوما و يبقى الصدى.

و سرحان يحمل أرصفة و نوادي و مكتب حجز التذاكر

سرحان يعرف أكثر من لغة و فتاه. و يحمل تأشيرة

لدخول المحيط و تأشيرة للخروج و لكنّ سرحان

قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها.. و سرحان

قطرة دم تفتش عن جثة نسيته.. و أين ؟

و لست شريدا.. و لست شهيدا

و رائحة البن جرافيا.

و سرحان يشرب قهوته..

و يضيع

هنا القدس.

يا امرأة من حليب البلابل كيف أعانق ظلي

و أبقى ؟

خلقت هنا.. و تنام هناك

مدينة لا تنام و أسماؤها لا تدوم. بيقت تغير

سكانها. و النجوم حصى.

و خمس نوافذ أخرى، و عشر نوافذ أخرى تغادر

حائط

و تسكن ذاكرة.. و السفينة تمضي.

و سرحان يرسم شكلا و يحذفه: طائرات و ربّ قديم

و نابالم يحرق وجهها و نافذة.. و يؤلف دوله.

هنا القدس.

يا امرأة من حليب البلابل كيف أعانق ظلي..

و أبقى؟

و لا ظلّ للغرباء.

مساء يرافقهم، و المساء بعيد عن الأمهات قريب من

الذكريات. و سرحان لا يقرأ الصحف العربية.

لا يعرف المهرجانات و التوصيات. فكيف إذن

جاءه الحزن.. كيف تقياً ؟

و ما القدس و المدن الضائعة

سوى ناقة تمتطيها البداوة

إلى السلطة الجائعة

و ما القدس و المدن الضائعة

سوى منبر للخطابه

و مستودع للكآبه

و ما القدس إلا زجاجة خمر و صندوق تبغ

..ولكنها وطني.

من الصعب أن تعزلوا

عصير الفواكة عن كريات دمي..

و لكنها وطني

من الصعب أن تجدوا فارقا واحدا

بين حقل الذرة

و بين تجاعيد كفيّ

و لكنها وطني..

لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة

و بين المساء الذي يسكن الكرمل

و لكنها وطني

في الحقيقة و الدم متسع للجميع

و خط الطباشير لا يكسر المطر المقبل

هنا القدس..

كيف تعانق حريتي_ في الأغاني_ عبوديتي ؟

و سرحان يرسم صدرا و يسكنه

و سرحان يبكي بلا ثمن و وسام

و يشرب قهوته.. و يضع

يمزق غيما، و يرسله في اتجاه الرياح. و ماذا؟ هنالك

غيمة شديدة الخصوبة. لا بد من تربة صالحة

أنتذهب صيحاتنا عبثا؟

أكلت.. شربت.. و نمت.. حلمت كثيرا. أفقت

تعلمت تصريف فعل جديد. هل الفعل معنى بآنية

الصوت.. أم حركة؟

و تكتب ض. ظ. ق. ص. ع. و تهرب منها، لأن

هدير المحيطات فيها و لا شيء فيها ضجيج الفراغ

حروف تميزنا عن سوانا_ طلعنا عليهم طلوع

المنون- فكانوا هباء و كانوا سدى. سدى نحن

هم يحرثون طفولتنا و يصكون أسلحة من أساطير

أعلامهم لا تغني و أعلامنا تجهض الرعد نقصفهم بالحروف

السمينة ض. ظ. ص. ق. ع ثم نقول انتصرنا و ما

الأرض؟ ما قيمة الأرض؟ أتربة ووحول نقاتل أو لا نقاتل ؟
ليس مهما سؤالك ما دامت الثورة العربية محفوظة في الأناشيد

و العيد و البنك و البرلمان

و تعرف أن الغزاة عصي بأيدي المماليك تكتب

ض.ظ.ق.ص.ع

تمزق غيما و ترسله في اتجاه الرياح و ماذا؟ هنالك

غيمة شديد الخصوبة. لا بد من تربة صالحة

و تمضي السفينة. تبقى غريبا. جراحك مطبوعة للبلاغات

و التوصيات. و باسمك تنتصر الأبجدية. باسمك

يجلس عيسى إلى مكتب ويوقع صفقة خمر و أقمشة

و يحيى العساكر باسمك. تحفظ في خيمة

و تلعب في خيمة. لا هوية إلا الخيام. إذا

احترقت.. ضاع نمك الوطن

و باسمك تأتي و تذهب. باسمك حطّين تصيح مزرعة

للحشيش، و ثوارك السابقون سعاة بريد. و باسمك

لا شيء. يأتي القضاة، يقولون للطين كن جبلا

شامخا فيكون. يقولون للترعة انتفخي أنهرها فتكون

و تكتب ض.ظ.ق.ص.ع.ق

تمزق غيما و ترسله في اتجاه الرياح، و ماذا ؟

هنالك غيمة شديد الخصوبة. لا بدّ من تربة صالحة

أذهب صيحاتنا عبثا؟

و ليست خيامك ورد الرياح. و ليست مظلات شاطيء.

تدجج بأعمدة الخيمة. احترقي يا هويتنا_ صاح لاجيء

و سرحان يشرب قهوته. للجليل مزايا كثيرة

و يحلم، يحلم، يحلم.. آه_ الجليل!

و من كفّ يوما عن الاحتراق

أعار أصابعه للضماذ

و صرح للصحفي و للعدسات

جريح أنا يا رفاق

و نال وساما.. و عاد

و سرحان ،

ما قال جرحي قنديل زيت و ما قال..

صدري شباك بيت و ما قال..

جلدي سجّادة للوطن

و ما قال شيئا..

أتذهب صيحاتنا عينا ؟

كل يوم نموت ،و تحترق الخطوات و تولد عنقاء

ناقصة ثم نحيا لنقتل ثانية

يا بلادي، نجيتك أسرى و قتلى.

و سرحان كان أسير الحروب، و كان أسير السلام

على حائط السبيّ يقرأ أنباء ثورته خلف ساق مغنّية

و الحياة طبيعية، و الخضار مهربة من جباه العبيد

إلى الخطباء، و ما الفرق بين الحجارة و الشهداء؟

و سرحان كان طعام الحروب، و كان طعام السلام.

على حائط السبي تعرض جثته للمزاد. و في المجهر

العربي يقولون: ما الفرق بين الغزاة و بين الطغاة؟

و سرحان كان قتييل الحروب، و كان قتييل السلام.

سرحان! لا شيء يبقى، و لا شيء يمضي. اغتربت..

لجأت.. عرفت. و لست شريدا و لست شهيدا

خيامك طارت شراره.

و في الريح متسع

هل قتلت؟

و يسكت سرحان يشرب قهوته و يضيع و يرسم

خارطة لا حدود لها و يقيس الحقول بأغلاله

هل قتلت

و سرحان لا يتكلم. يرسم صورة قاتله من جديد،

يمزّقها، ثم يقتلها حين تأخذ شكلا أخيرا..

قتلت ؟

و يكتب سرحان شيئا على كمّ معطفه، ثم تهرب

ذاكرة من ملفّ الجريمة.. تهرب.. تأخذ منقار

طائر

و تزرع قطرة دم بمرج بن عامر.

Akhavia